المقاربة بالكفاءات في الجزائر من أقسام اللغات إلى أقسام الترجمة

وسام تواتي

معهد الترجمة أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر 2

ouissem_touati@yahoo.com, ALGÉRIE

Abstract

The competency-based approach is one of the most adopted teaching methodologies around the world, including Algeria which applied the BMD system as a step to revise curricula and give more importance to the learner's competence. The competency-based approach was differently adopted in the different disciplines. The departments of languages in Algeria were among the first to adopt this approach by integrating the LMD system, while the departments of Translation has adopted it ten years later, by opening Master and Doctorate programs. The main problem is not who first adopted it, as much as how we can adapt effectively with the changes in the teaching methodologies and fulfil the purposes intended from them.

This research paper is subscribed under a research group working on 'Developing translation competence, an empirical study and modern approaches, university of Algiers2. We aim to highlight the importance of the competency-based approach in Translation, mainly by developing translation competence. We attempt also to raise the teachers' awareness of and adaptation with the adopted approaches by the teaching organisms in Algeria in order to attain the expected aims from the learning process.

Key Words: The Competency-Based Approach, Translation Competence, Translation, Learner's Competence, LMD System .

الملخص

تعتبر المقاربة بالكفاءات من أهم النماذج المعتمدة في المناهج الدراسية في العالم عامة و الجزائر خاصة حيث تبنت الجامعة الجزائرية نظام الـ **ل م د** كخطوة لمراجعة مناهج التدريس والتركيز على كفاءة المتعلم عوض كم المعلومات التي قد يتسرب مع مراحل التعلم مما يؤدي إلى إخفاق المتعلم في تجاوز العقبات والمشاكل التي يمكن أن يواجهها في مساره التعليمي. تباينت تطبيقات المقاربة بالكفاءات من اختصاص إلى آخر، فنجد مثلا أقسام اللغات كانت سباقة في اعتمادها منذ السنة الجامعية 2003–2004 (من خلال نظام الـ **ل م د**) ، على غرار أقسام الترجمة التي لم تفتح أبواب الماستر والدكتوراه إلا بعد عشر سنوات من فتحها في أقسام اللغات. غير أن الإشكال المطروح لا يكمن في السبق إلى التطبيق بقدر طريقة التكيف مع التغيرات الحاصلة في سياسات التدريس بطريقة ذكية وفعالة وتحقيق النجاح المرجو من اعتماد هذه المقاربات. تندرج هذه الورقة البحثية في إطار فرقة بحث تابعة لمعهد الترجمة بجامعة الجزائر 2 تحت عنوان "**تطوير الكفاءة الترجمية دراسة إمبرقية ومقاربات حديثة**" كما تهدف إلى

إبراز أهمية المقربة بالكفاءات في تدريس الترجمة من خلال تطوير الكفاءة الترجمية وضرورة اهتمام الأساتذة ووعيهم بأهمية المقاربة المعتمدة من طرف الهيئات التدريسية في الجزائر والتكيف معها من أجل تحقيق الأهداف المرجوة من العملية التعليمية.

الكلمات المفاتيح : المقاربة بالكفاءات، الكفاءة الترجمية، الترجمة، كفاءة المتعلم، نظام ال ل م د.

مقدمة

شهد النظام التربوي الجزائري تغيرا مهما في مسار المناهج التربوية منذ السنة الدراسية 2003-2004، وذلك بهدف مواكبة الركب العلمي للبلدان المتقدمة التي تركز على الكفاءة التي يكتسبها المتعلم بدلا من الكم المعرفي الذي يجمعه في قاعة الدرس. تجدر الإشارة في هذا السياق أن مجهودات المختصين في الجزائر بدأت منذ سنة 1988 "و ذلك بعد شروع اللجنة الوطنية للمناهج و المجموعات المتخصصة للمواد في تصميم المناهج الدراسية وفق هذه المقاربة منذ سنة 1998، ليكون ذلك شروعا عمليا في الانتقال من المقاربة بالأهداف إلى هذه المقاربة الجديدة، التي أصبحت مطبقة في كثير من دول العالم سواء منه المتطور أو السائر في طريق النمو" (لكحل، 2011، ص.72)*

يشير جيلي (1992) أن السبب الرئيسي لظهور هذه المقاربة يكمن في التغيرات الواردة في المحيط الاقتصادي والثقافي، هذه التغيرات فرضت استجابات من طرف الفرد بغية التكيف مع مختلف المشاكل التي تواجهه (كما ورد في بن نابي و الطيب،2011، ص.5)، لهذا سعت الجزائر إلى اعتماد هذه المقاربة في كل مستويات التدريس : الابتدائي والمتوسط والثانوي والتعليم العالي. سنحاول فيما يلي إلقاء الضوء على جذور المقاربة بالكفاءات و ماهيتها وأسباب اعتمادها في الجزائر ومزاياها وتطبيقاتها في أقسام الترجمة.

I. جذور المقاربة بالكفاءات

ليس من البديهي التحدث عن مقاربة جديدة دون الإشارة إلى سابقاتها، لأن جل الأبحاث تتفق على أن التطورات التي تحدث في ميدان معين مبنية على ما سبقها، شأنها شأن النظريات الترجمية مثلا إذ لا تفتأ الأولى أن تظهر إلا و برزت الثانية في محاولة للتقييم و التقويم من أجل تحسين الأداء الترجمي و ضمان الجودة الترجمية. وفي هذا السياق، نشير أن المقاربة بالكفاءات لا تقصي المقاربات الكلاسيكية، لكنها تسعى إلى مواكبة التطورات الحاصلة في البلدان المتقدمة من أجل إعداد أجيال تتجاوب بطريقة فعالة مع متطلبات المجتمع الذي ينتمون إليه. فإذا:

كانت المقاربة بالأهداف ذات خلفية سلوكية واضحة، فإن المقاربة بالكفاءات استندت في خلفيتها النظرية على الاتجاه السلوكي والبنائي والمعرفي. وإذا كان تأثرها بالاتجاه السلوكي واضحا من خلال المحافظة على

* - تم اعتماد منهجية التوثيق لجمعية النفس الأمريكية (APA)، الطبعة السادسة.

الأساليب التقويمية القائمة على إجراءات الأهداف والتقدير الكمي الواضح للأداء، فإن الجديد في هذه المقاربة هو استنادها للاتجاه البنائي والمعرفي القائم على الانطلاق من ذاتية المتعلم وما يتوفر عليه من قدرات معرفية ذاتية، وكذلك على تأثير العوامل الاجتماعية في التعلم... (غريب، 2010، ص. 42–55، كما ورد في لكحل، 2011، ص.73)

وتبرز أربعة نماذج نلخصها فيما يلي :

1. النموذج البنائي Modèle Contructiviste

ترجع المجهودات المبذولة في هذا النموذج إلى أعمال جون بياجي Jean Piaget الذي يؤكد عل دور البيئة في نمو الطفل و تفاعله مع مكتسباته السابقة لتبني بذلك مخططات معرفية جديدة. فالنمو العقلي هو الذي يتحكم في التعليم و ليس العكس و لهذا وجب مساعدة المتعلم في بناء المعلومات بدلا من تبليغها له وتتقاطع المقاربة بالكفاءات مع المقاربة البنائية في عامل البناء أي بناء المعرفة و تفريد المتعلم (لكحل، 2011).

2. البنائية الجديدة Modèle Néo Contructiviste

ترتكز نظرة البنائية الجديدة على الصراع المعرفي الاجتماعي لبناء و نمو التعلم. فالتحديات التي يواجهها المتعلم تحفز و تثير قدراته على التعلم لأنه يصبح قادرا على حل مشاكل لا يمكنه حلها بمفرده بل ويمكنه كذلك مواجهة و حل مشاكل جديدة. تبرز بهذا أهمية البيئة في خلق صراع يواجهه المتعلم من خلال "تجنيد أكبر لكل مكتسباته واستراتجياته التعلمية، وهو العنصر الذي تؤكد عليه المقاربة بالكفاءات خاصة في أدواتها التقويمية التي ترتكز على الوضعية المشكلة والإدماج وتجنيد الموارد"(لكحل، 2011، ص.74).

3. النموذج السوسيوبنائي التفاعلي Modèle Sociocontructiviste Interactif

يمثل عنصر التفاعل عاملا مهما في هذا النموذج، فالمتعلم يتفاعل مع معارفه و كفاءاته و بيئته من أجل بناء المعرفة التي تتضمن أربعة عناصر أساسية تتمثل في نشاطه الذهني و نشاطه الفردي، الربط بين ما يقوم به و نتائجه و الجدل الفكري بين المكتسبات و النتائج في وضعية معينة (زوجيرز، 2008، ص.71، كما ورد في بن نابي 2011، ص.9).

4. النموذج المعرفي Modèle Cognitviste

ينطلق هذا النموذج من الذاكرة بنوعيها قصيرة المدى (العملية) وطويلة المدى. تستدعي العملية المعرفية عمليات ذهنية كالتخزين والاسترجاع للمعلومات والإدراك والمعالجة للمعلومة من خلال تفسيرها وتحليلها كمعالجة مشكل معين من طرف المتعلم وهذا ما يؤكد همزة الوصل بين هذا النموذج و المقاربة بالكفاءات.

يمكن أن نستنتج أن المقاربة بالكفاءات كانت نتاج تفاعلات العديد من النماذج و النظريات التي تحاول أن تدرس العملية التعليمية وتركز على دور المتعلم في بناء المعرفة و الكفاءة.

II. المقاربة بالكفاءات

تنطلق هذه المقاربة من الكفاءة التي يستهدفها المنهاج المسطر في عملية التعلم، فهي تأخذ بعين الاعتبار المحتوى والوسائل والظروف التي تحيط بالمتعلم. فإذا "كانت المقاربة بالكفاءات تهدف إلى بناء كفاءات لدى المتعلمين، فإنها في نفس الوقت طريقة جديدة في توجيه المنهاج الدراسي بمختلف مكوناته (الملمح، المحتوى، الممارسات البيداغوجية، التقويم، تكوين المتعلمين)"(لكحل،2011).

يمكن القول أن هذه المقاربة تبني الكفاءات لدى المتعلم من خلال جعله قادرا على التحكم في أدائه بطريقة واعية و مواجهة المشاكل و حلها بناءا على ما اكتسبه من كفاءات سابقة.

وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن الكفاءة تختلف عن القدرة كما و ضحها روجيرز(كما ورد في بن نابي وبلعربي2011 ص.14-15).

الكفاءة	القدرة
تنمو حسب محور الوضعيات	تنمو حسب محور الزمن
تتوقف عند زمن معين	تنمو بمرور الزمن
ذات علاقة بفئة معينة من الوضعيات	ذات علاقة بمجموعة غير محدودة من المحتويات
نشاط مقصود يدخل في اطار مهمة محددة	نشاط يمكن أن ينجز بدون أي قصد
تجنيد مجموعة مدمجة من الموارد، لاسيما القدرات	ليس بالضرورة وجود وضعية ادماجية
تختص في النهاية بجودة المهمة (الأداء)	ممكنة التخصص، ولكن في النهاية حسية و معرفية

(روجيرز، 2004، ص.72، كما ورد في بن نابي وبلعربي2011، ص.11)

يمكن الاستنتاج أن القدرة لا يمكن أن تقيم بطريقة مباشرة لأنها لا ترتبط بوضعية واحدة فقط بل ترتكز على جل الكفاءات التي تبنيها و تظهر من خلال هذه الكفاءات.

وفي نفس السياق تجدر الإشارة إلى أن المقاربة بالكفايات مفهوم يفصل بين الكفاءة و الكفاية، حيث وضح مزياني (2005) أن سبب الاختلاف يرجع إلى اختلاف المراجع التي تتناوله. "فالكفاية اصطلاحا هي القدرة سواء القانونية أو المهنية المكتسبة لإنجاز بعض المهام والوظائف والقيام ببعض الأعمال" (ص.63). أي أن الغاية تضم سياقات أو نشاطات متعددة، أما الكفاءة أو الشخص الكفء فـ "هو الذي يمارس نشاطه بمهارة عالية موظفا في ذلك المفاهيم الاجتماعية والوجدانية ومجموعة من المهارات المعرفية والنفسية الحسية و الحركية" (مزياني، 2005، ص.64).

نستنتج مما سبق أن مصطلح التدريس بالكفايات قد يكون أنسب من مصطلح التدريس بالكفاءات في سياقات معينة لكي لا نقصي المتعلم المتوسط المستوى الذي يمتلك كفاية قد يطورها إلى كفاءة، و بذلك تشمل مصطلح التدريس بالكفايات كلا من الطالب الممتاز و المتوسط.

من المهم أيضا أن نعلل سبب اختيارنا لمصطلح التدريس بالكفاءات بدل الكفايات، و بالتحديد في سياق الترجمة، لأنه على الطالب الجامعي في مرحلة الماستر أن يتجاوز الكفاية إلى الكفاءة التي تؤهله إلى أن يصبح مترجما خصوصا و أن أبواب الماستر و الدكتوراه في أقسام الترجمة تفتح على أساس عملية انتقائية للطلبة، إلا أنه تطرح العديد من التساؤلات في هذا السياق حول انتقاء الطلبة الأكفاء من أجل تحصيل ترجمي متميز و لذلك وجب علينا القيام بمجهودات من شأنها أن تكلل تطبيق مقاربة التدريس بالكفاءات في معاهد و أقسام الترجمة في الجزائر بالنجاح، خصوصا و أنه تطبيقاته في هذا الإختصاص لم يقطع أشواطا كبيرة بعد.

III. أسباب اعتمادها في الجزائر

تم اعتماد المقاربة بالكفاءات في الجزائر كنتاج للمجهودات المبذولة من طرف المختصين في مراجعة البرامج الدراسية التي ترتكز على المحتوى أكثر من العملية التعليمية، فالنفعية المكتسبة من العملية التعلمية لا يمكن أن تتحقق من برنامج سطر لكسب معلومات معينة، بل من خلال منهاج فعال تتفاعل فيه الكثير من العوامل لبناء كفاءة يستخدمها المتعلم في حل المشاكل التي تواجهه بطريقة واعية. لذلك حاولت الجزائر مواكبة المناهج الحديثة في التعليم من أجل توسيع رقعة التفاعل بين عناصر العملية التعليمية و تحقيق متطلبات السوق الاقتصادي وتوسيع رقعة التفاعلات الاجتماعية و الثقافية للفرد. فبالإضافة إلى مواكبة التغيرات في العالم و ضرورة الانفتاح على الآخر و الحاجة الماسة إلى مناهج جديدة تلبي حاجات المجتمع الجزائري، لخص مدير التعليم الأساسي السيد فريد عادل أسباب اعتماد الجزائر للمقاربة بالكفاءات فيما يلي:

- انتقال البلاد من نظام سياسي أحادي إلى التعددية الحزبية وإلى نظام ديمقراطي،
- انتقال البلاد من نظام اقتصادي ممركز إلى نظام الاقتصاد الحر،
- التطور المذهل للعلوم والتكنولوجيا بما في ذلك علوم التربية،
- التدهور المستمر لمستوى التلاميذ ونتائجهم،
- التحديات الجديدة التي من المنتظر أن تواجهها المدرسة . (كما ورد في لكحل، 2011)

كما يمكن الإشارة إلى أن مبادئ المقاربة بالكفاءات شكلت مزايا ومحفزات لاعتمادها من طرف النظام التربوي في الجزائر.

IV. مبادئ المقاربة بالكفاءات

ذكر محمود (2010–2011) جملة من المبادئ تقوم عليها المقاربة بالكفاءات و هي :

- الإجمالية
- البناء، التناوب، التطبيق، التكرار، الإدماج، التمييز، الملائمة، الترابط، والتحويل.

أما عن المزايا فيمكن تلخيصها فيما يلي :

- التحفيز على الابتكار
- الانضباط و الرغبة في التعلم
- تنمية المهارات والميول في المستوى العقلي والسلوكي
- اعتماد البرامج وفق مناهج متدرجة
- الأخذ بعين الاعتبار الفروقات الفردية للمتعلمين (بونوة، 2014).

V. من أقسام اللغات الى أقسام الترجمة

منذ اعتماد نظام الـ ل م د في الجزائر خلال السنة الجامعية 2003–2004، اتجهت أقسام اللغات إلى مراجعة مناهج التدريس التي من شأنها أن تحدث تغييرا إيجابيا في مستوى ونوعية التكوين، إلا أن أقسام الترجمة لم تتبنى هذا النظام الجديد الذي كان بمثابة مسألة جدل بين المختصين الذين تباينت آرائهم حول جدوى هذا

النظام في الترجمة. ومن أهم النتائج التي تمخضت عن اعتماد هذا النظام هو البحث في الكفاءة الترجمية التي لا يمكن فصلها عن التصورات التي صاغتها الأبحاث اللسانية منذ ظهورها.

فمثلا يغرها ميلر Miller (1973) على أنها تضم خمسة مستويات لغوية :

1. المستوى الصوتي
2. المستوى التركيبي
3. مستوى المفاهيم
4. نظام المعتقدات (عيسي، 1987، ص.68).

أما كل من الأستاذين خليل و بن شرقي(2016) قد تطرقا إلى جملة من تعاريف الكفاءة الترجمية التي قدمها مجموعة من الباحثين كـ أمبارو هورتادو ألبير و ماريانا أوروثكو و روجر بيل و ويلس، إلا أنهما ركزا على المفهوم المقدم من طرف مجموعة باكت Groupe PACTE ، بجامعة برشلونة بإسبانيا المتخصصين في عدة أبحاث حول الكفاءة الترجمية، "فيعرفونها على أنها النظام التحتي للمعارف و المهارات المطلوبة للاضطلاع بفعل الترجمة." (خليل و بن شرقي ،2016، ص.132) ويؤكدان: على أن التعريف الآتي يركز على أهمية الوضعية في تحيين الكفاءة الترجمية :

> تحين هذه الكفاءة بطرائق مختلفة في وضعيات مختلفة، وقد استعير هذا التصور من فكرة الكفاءة اللسانية، وأصبح يمتلك أهمية متزايدة في حقل علم الترجمة مع استبدال الإطار النظري المعرفي بالإطار النظري السلوكي (خليل و بن شرقي ،2016، ص.132)

من خلال هذا التعريف للكفاءة الترجمية نلمس تقاطع المقاربة بالكفاءات مع علم الترجمة، لأن اكتساب كفاءة الترجمة يتوقف على مجموع الاستراتيجيات العملية التي يستخدمها طالب الترجمة في العمل الترجمي.

وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أهمية البحث العلمي في الجزائر من أجل تحسين جودة التعليم من خلال إجراء بحوث هادفة و مراجعة مناهج تدريس مقاييس الترجمة في إطار المقاربة بالكفاءات بات أمرا في غاية الأهمية، لأن تخوف بعض الباحثين من تحفظ الذهنية الجزائرية حول كل ما هو جديد قد يكون في محله خصوصا أن لها أثرا مباشرا على المتعلم في المدرسة أو المتوسطة أو الثانوية أو الجامعة كما أشارت إليه الأستاذة بن عدلة (2015) :

> Semmouk, A. (2005), an Algerian sociologist noticed that accepting what is cited from above without a critical thinking or discussion is deeply rooted in the Algerian psyche. Indeed, if one has a sociologist eye, s/he may attest this behavior in the Algerian society. This begins from the level of the family, accepting the parents' orders with no discussion, to higher layers of the Algerian society. This explains the learners' behavior of avoiding autonomous work and always wondering what to do for pleasing the teacher to get a good grade. It may explain also the teachers' behaviour, being part of the Algerian society, who do not adopt the change in method and do their jobs to apply the authorities' words. This character is deeply rooted in our society and it might take many years, if not decades, to be changed. (p.163)

إن ما أشارت إليه الأستاذة بن عدلة في هذا الاقتباس هو حقيقة مريرة نعيشها مع طلبتنا ، كما نلمس في نفس الوقت عدم رضى الطالب عن معاشه اليومي في قاعة الدرس، والأجدر أن يكون توافق بين الأستاذ والطلبة من أجل إنجاح العملية التعليمية. قد يرجع السبب الأساسي في هذا الفشل النسبي الذي تعكسه نتائج الطلبة وترتيب جامعاتنا على المستوى الدولي إلى اللاوعي الذي يحول دون نجاح الأستاذ و الطالب، لأن نجاح الطالب ما هو إلا نتيجة عملية تعلم واعية يشرف عليها الأستاذ بمهارة مختص يدرك المنهج المعتمد في التدريس و النتائج المتوقعة من ذلك.

إن تطبيق المقاربة بالكفاءات في ميدان الترجمة لا تزال بعيدة عن التطبيقات الفعالة في أقسام الترجمة، وقد يرجع سبب هذا إلى تباين نظرات الأساتذة حول طريقة تقديم الدرس الترجمي، فأغلبيتهم يعتمدون أساليب البرامج التي تركز على الكم المعلوماتي الذي يجمعه الطالب حول نظريات الترجمة مثلا بدلا من بناء مناهج تهدف إلى بناء كفاءة ترجمية تدرجيا و تحفز الطالب على مواجهة مشاكل تطبيقية في وضعيات مختلفة و إيجاد حلول ناجعة من شأنها أن تقوده إلى مواجهة سلسلة أخرى من الصعوبات من خلال استعمال المهارات المكتسبة من قبل.

خاتمة:

تثير هذه الورقة البحثية تساؤلات عديدة حول الكفاءة الترجمية وسبل تطويرها في أقسام الترجمة بالجامعة الجزائرية. يمكن للباحث في هذا الميدان الانطلاق من التجارب و النتائج التي خلص إليها الباحثون في أقسام

اللغات وذلك لأنهم سباقون في تطبيق المقاربة بالكفاءات (منذ السنة الجامعية 2003–2004) إلا أن هذا لا يعني أن هذه التطبيقات لا يجب أن تكيف حسب أهداف برامج تدريس الترجمة، ذلك لأن التكوين في معاهد الترجمة وأقسامها لا يهدف إلى تدريس اللغات بل إلى تكوين مترجمين وتراجمة أكفاء والمساهمة في الانفتاح على سوق العمل بكل ميادينه لأن الترجمة تعتبر حلقة وصل بين القطاعات الاجتماعية الداخلية والخارجية وبذلك تفتح مقاربة التدريس بالكفاءات آفاقا واسعة لدراسة الكفاءة الترجمية من التعليم إلى التمهين.

المراجع:

1) بن نابي نصيرة وبلعربي الطيب (2011). بناء المناهج التعليمية وفق المقاربة بالكفاءات. ملتقى التكوين بالكفايات في التربية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص.5-26.

2) بونوة أحمد بن محمد (2014).المقاربة بالكفاءات بين النظري والتطبيق. شبكة الألوكة.

3) خليل نصر الدين وبن شرفي نصر الله (2016). نماذج المقاربة بالكفاءات الترجمية، المترجم، العدد 32، يناير-مارس2016.

4) لكحل لخضر (2011). تامقاربة بالكفاءات : الجذور والتطبيق. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. عدد خاص، يناير 2011.

5) محمود العرابي (2010-2011). دراسة كشفية لممارسة المعلمين للمقاربة بالكفاءات، دراسة ميدانية بالمدارس الابتدائية في مستغانم، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير، جامعة وهران السانية، كلية العلوم الاجتماعية.

6) مزياني الوناس (2005). بين الكفاءة و الكفاية في المؤسسات التربوية. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، عدد 3، رقم 2، ص.64-71.

7) Aissi L. (1987). An analytical study of the process of translation (with specific reference to English/Arabic), unpublished PhD thesis, Department of Modern Languages, Salford University.

8) Benadla L. (2005). *The competency based language teaching in the Algerian middle school: from EFLacquisition planning to its practical teaching/learning.* AWEJ, Vol.4. N°1, 2013, pp.158-165.